Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

أو فصه أنفس ، لم يكن ذلك تفضيلا له من حيث هو خاتم ، كذلك ينبغي — إذا فضلنا بيتا على بيت من أجل معناه — ألا يكون تفضيلا له من حيث هو شعر وكلام . واعلم أنك لست تنظر في كتاب صنف في شأن البلاغة ، وكلام جاء عن القدماء ، إلا وجدته يدل على فساد هذا المذهب ، ورأيتهم يتشددون في إنكاره وعيبه والعيب به . وإذا نظرت إلى الجاحظ وجدته يبلغ في ذلك كل مبلغ ، ويتشدد غاية التشدد ، وقد انتهى في ذلك إلى أن جعل العلم بالمعاني مشتركاً ، وسوى فيه بين الخاصة والعامة (١) .

ولا يقيم عبد القاهر كبير وزن للألفاظ في ذاتها من حيث تلاؤم حروفها وخفتها في النطق ، ولا من حيث ترادفها على معنى (٢) . وإنما تظهر مزية الألفاظ عنده في تأليف الكلام ، لأنها وسائل التصوير للمعنى المدلول عليه بالصياغة .

وقد أحكم عبد القاهر الربط بين « نظم » الألفاظ في سياق صورة أدبية وبين صورة المعنى الذي كشفت عنه هذه الصورة ، فوضح أن الألفاظ — في سياقها في الشعر وفي بليغ الكلام — هي وحدها وسيلتنا إلى الصورة الأدبية :

« فلا يتصور أن يعرف المرء للفظ موضعا من غير أن يعرف معناه ، ولا يتوخى في الألفاظ ، من حيث هي ألفاظ ، ترتيبا ونظما ، وإنما يتوخى الترتيب في المعاني ، فاذا تم ذلك تبعتها الألفاظ ، وقفت آثارها » .

« وإنك إذا فرغت من ترتيب المعاني في نفسك ، لم تحتج إلى أن تستأنف فكراً في ترتيب الألفاظ ، بل تجدها ترتب لك بحكم أنها خدم للمعاني ، وتابعة لها ولاحقة بها . وإن العلم بمواقع المعاني في النفس علم بمواقع الألفاظ الدالة عليها في النطق » (٣) .

---

(١) عبد القاهر : دلائل الاعجاز ص ١٩٦ — ١٩٧

(٢) المرجع السابق ص ٤٥ — ٤٦ ، ٢٠٠ — ٢٠١ ، وأسرار البلاغة ص ٣١٦ — ٣١٧ .
وهنا يلتقي عبد القاهر مع أرسطو أيضا في أن الكلام مثل في الجمل لا في الكلمات ، الجملة هي وحدة اللغة .

(٣) عبد القاهر الجرجاني : دلائل الاعجاز ص ٤٤ .